المعلومات المصورة للشباب

صناعة الكتاب

عبر التاريخ

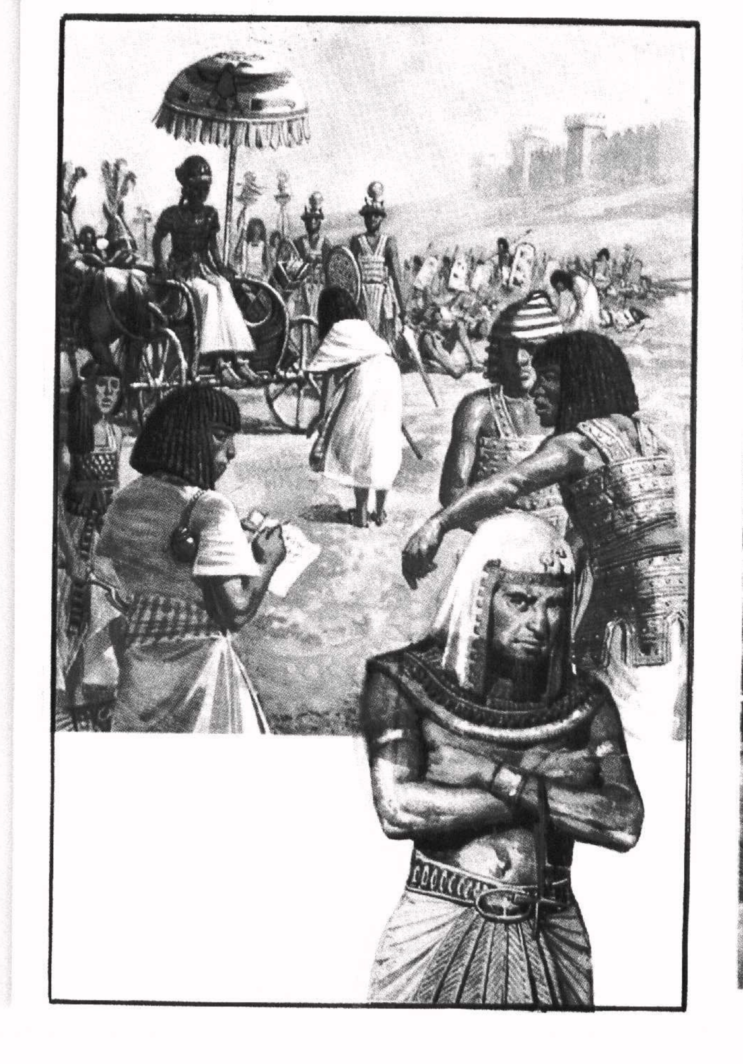


اللوحات والإعداد الفنى
جمال قطب

المادة العلمية
د . هبة جمال

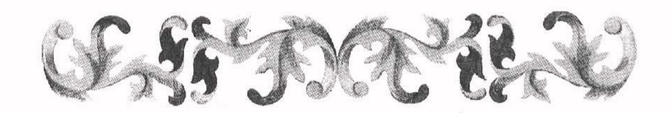


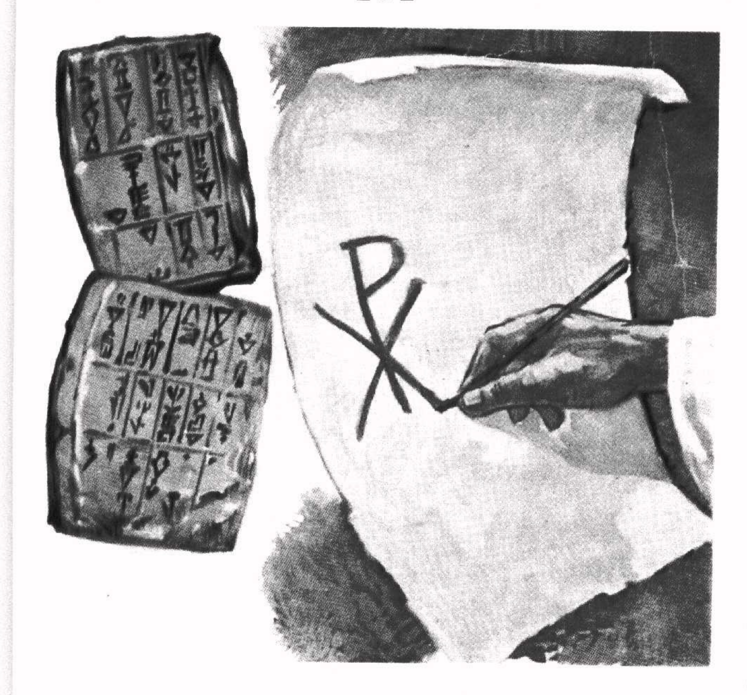
قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام ، بدأ المصريـون القدمـاء ، ثم من بعدهـم الإغريـق والرومـان ، فـى كتابـة مخطوطـاتهم على أوراق طويلة من البردى ملفوفة حـول عـود خشـبى . أما الآشـوريون فكـانوا يحفـرون كتابـاتهم على ألـواح مـن الفخّار ، وقد عُثر على كثير منها بين آثار الآشوريين .



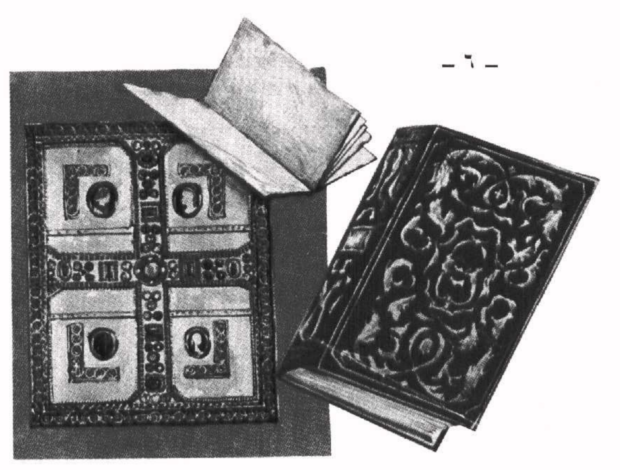


ويذكر التاريخ أن مكتبة الملك « آشور بانيبال Assurbanipal » فى القرن السابع قبل الميلاد كانت تحتوى على اثنين وعشرين ألف لوح من هذه المخطوطات الفخارية فى مدينة « نينيف Ninive » . واستمر الرومان يستخدمون لفائف البردى حتى القرن الخامس الميلادى عندما توصلوا إلى إنتاج شرائح الجلد الرقيق المصنوع من جلود الخراف واتخذوا منها بديلا عن أوراق البردى فى أغراض الكتابة ، وكانت هذه الشرائح الجلدية أكثر تحمّلا وأقل تكلفة مما جعلها تنتشر سريعا بين ربوع الإمبراطورية الرومانية ومعظم الدول المجاورة .



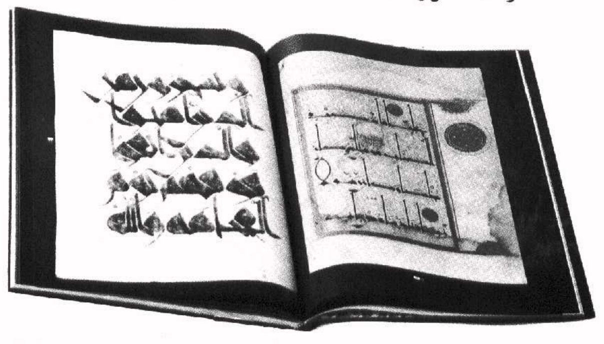






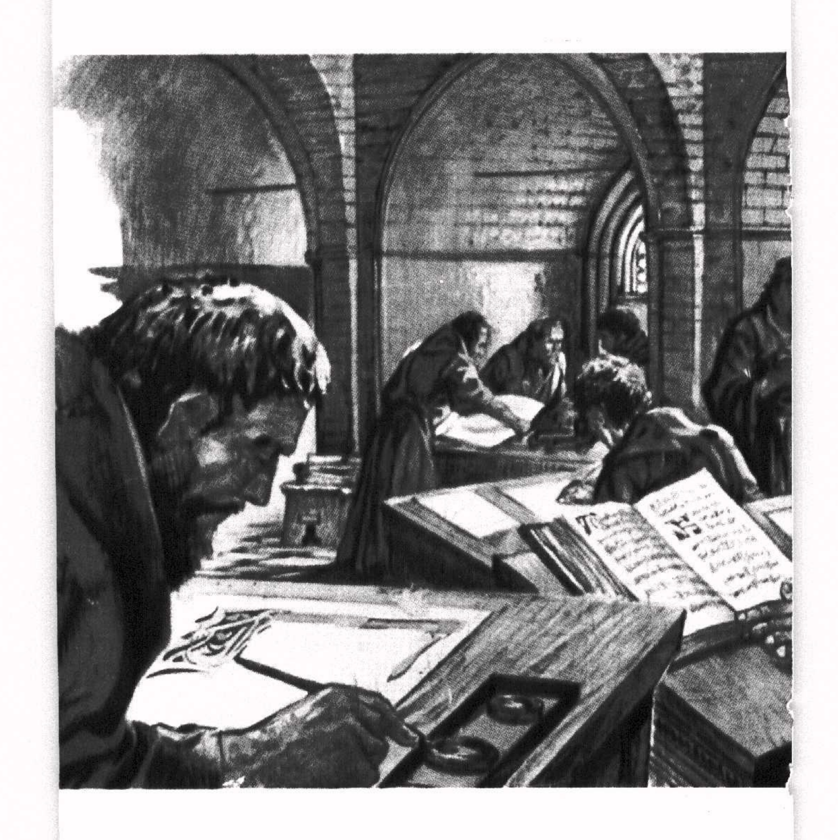
• وظلت المخطوطات تحفظ فى المكتبات والدواوين والخزائن على هيئة لفائف مثل مخطوطات البردى ، ولكن يدًا عبقرية مجهولة امتدت إلى إحدى هذه اللفائف الأسطوانية ، وقطعتها إلى أجزاء متساوية ، ورتّبتها فوق بعضها البعض على هيئة كتاب يُفتح ويطوى ، وتُقلب صفحاته بسهولة وسلاسة .. تماما مثل كتبنا فى عالم اليوم . وكان من المناسب لحفظ أوراق الكتب أن تكون بين دفّتين سميكتين وكعب متين بينهما فيما يعرف بتغليف الكتاب أو تجليده . وقد صنعت الأغلفة من القماش السميك أو من نفس مادة الجلد التى صنعت منه الأوراق .

- وأخذ صُنّاع التجليد يطورون أغلفة الكتب عاما بعد عام ويتنافسون في تجميلها وتذهيبها ، وكان للعرب والمسلمين مراكز فنية تُعنى بإخراج الكتب وتنتشر في مدن الدولة الإسلامية العظمى .. واهتم الفنان المسلم في المقام الأول بزخرفة وتذهيب المصاحف الشريفة .. حتى صارت تحفا رائعة في إخراجها وتغليفها .
- وحظيت الكتب الدينية في هذه القرون الوسطى باهتمام بالغ بالتجليد ، حيث تداخلت في أغلفتها الزخارف والذهب والأحجار الكريمة والأنسجة الحريرية والأخشاب النادرة والمعادن النفيسة ، حتى إن الحكام كانوا يتفاخرون باقتناء هذه التحف الثمينة .





- وكان رجال الكنيسة فى تلك العصور هم ، أقدر الفنانين المزخرفين للكتب الدينية أو المراجع التراثية القديمة ، وقد تخصص العشرات منهم فى أعمال الرسم والتذهيب والترميم والتجليد الفاخر المحلى بالفراء والمعادن واللآلئ .
- وقبيل عصر النهضة الأوروبية توالى افتتاح الجامعات والاهتمام بالدراسات الإنسانية ، فكان لزاما على الدول الأوروبية أن تشجع صناعة الكتب بكميات كبيرة ،





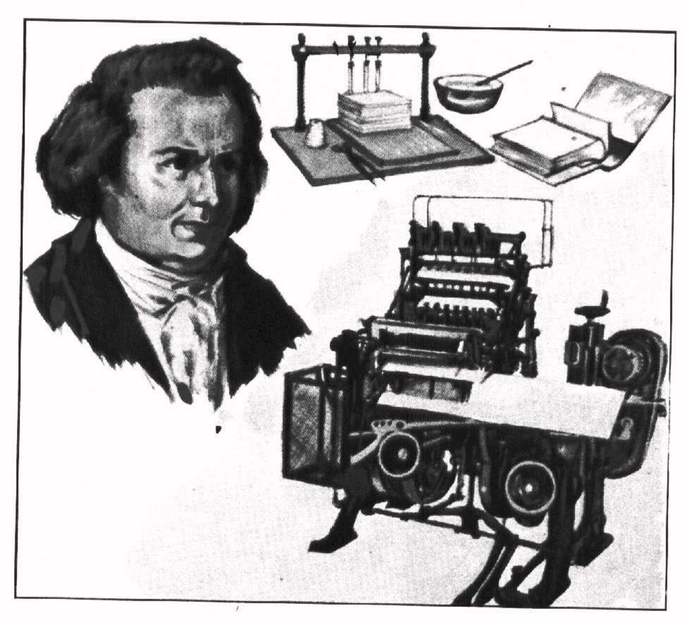
فتخصص لهذا الغرض مئات من الخطاطين والرسامين والمزخرفين . ثم انتشرت المطابع الآلية فى القرن الخامس عشر ، بفضل المخترعين الألمان ، وكان العرب قد توصلوا قبل ذلك إلى صناعة الورق وأحدثوا بهذا الاختراع تحولا تاريخيا ، فأصبحت صناعة الكتاب ضرورة حياتية يومية بين كافة شعوب العالم !

- وفى القرن السادس عشر (عصر النهضة الذهبى فى أوروبا) اختفى الشكل القديم للكتاب ، وحلّت محله طرز متقدمة ؛ فتم ترقيم الصفحات ، وانتشر فن الحفر على الخشب بدلا من الحفر على الجلد ، واستخدمت الزخارف العربية الإسلامية (الأرابيسك **Arabisc**) البديعة على أغلفة الكتب التى تنوعت موضوعاتها فى مختلف الثقافات والعلوم والآداب والاكتشافات والرحلات والصناعات وكافة مستجدات الحياة .





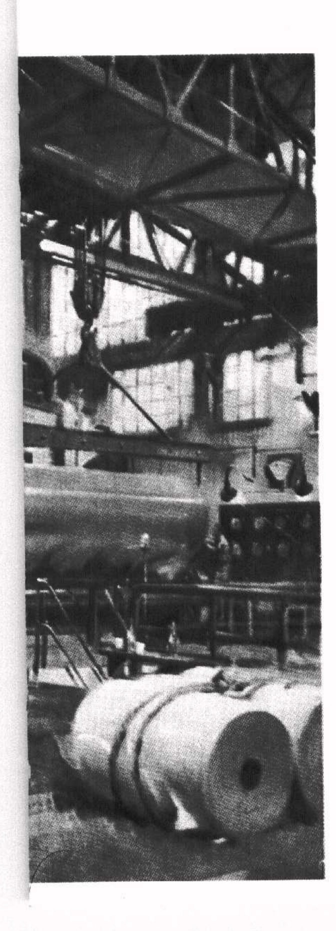
أحدث جوتنبرج ثورة تحولية فى صناعة الكتاب بعد أن توصل
إلى اختراع الطباعة الآلية فى منتصف القرن الخامس عشر



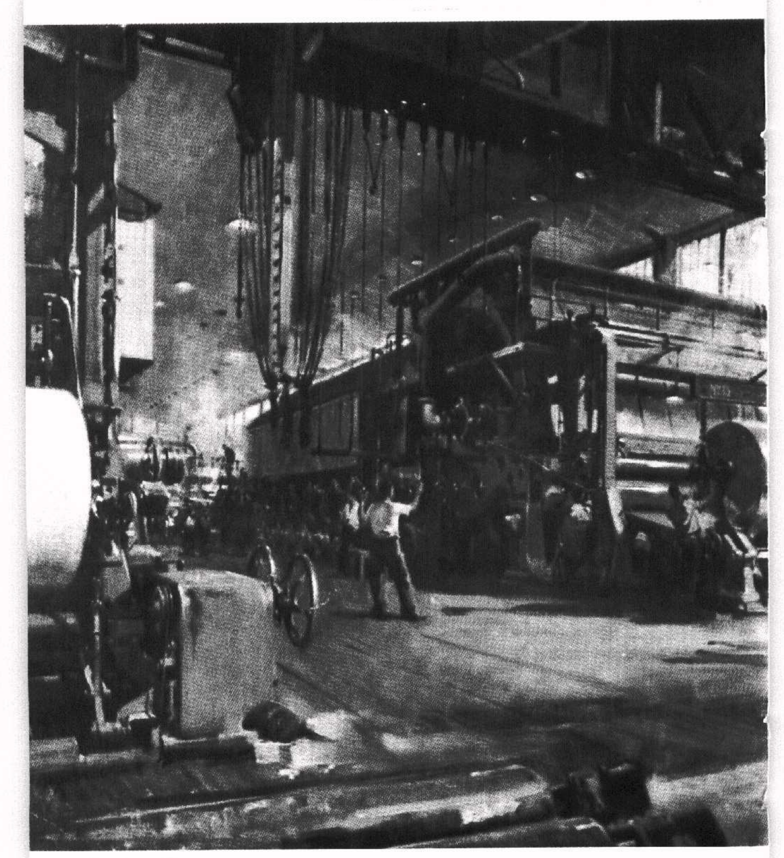
• ومن الطريف أن بعض العائلات الأوروبية « كعائلة الزيفير Elzévir » الهولندية ، تخصص أفرادها — وهم من أشهر أصحاب المطابع فى هولاندا — فى فن زخرفة وتجليد الكتب القيّمة ، حتى وصلوا بها إلى قمة الروعة والإتقان .. وكان ذلك فى القرن السابع عشر (وهو قرن النهضة الفنية فى بلاد الشمال) . واستمر التطوير والتنافس حتى وصل إخراج الكتب إلى قمة إجادتها ،

وظهرت العديد من المؤسسات التى تخصصت فى هذا الفن الرفيع مثل : بودونى **Bodoni** فى إيطاليا ، وديدو **Didot** فى فرنسا ، وكاسلون **Caslon** فى إنجلترا .. وغيرها فى بلدان أوروبية أخرى كثيرة . وكانت هذه المؤسسات الفنية تتفاخر عالميا . بإنتاجها الذى يعد من الروائع الخالدة كأعمال مشاهير الفنانين العالميين العظام !





• أمـا اليـوم ، فلـم يعـد إخراج الكتـب وتجليدهـا فنـا يدخـل فـى عـداد الأعمال الإبداعيـة ، بـل سـادت آلات الطباعـة الحديثة بإمكانياتها المذهلة التى تنتج آلاف النسخ فـى السـاعة الواحـدة ، طباعـةً وإخراجًا وتجليدًا بشتى الخامات والمواد . وبانتشار « الكومبيوتر » وآلات «الجرافيـــك» وغيرهـا مـن المخترعـات فائقـة الدقـة والسـرعة ، صـار الكتـاب كالمـاء والهواء متوفرا وميسـرا ، كما أنـه أصبـح ضروريا لكـل إنسـان فـى أرجـاء المعمورة .



رقم الإيداع : ٥٢١٩ / ٩٨
الترقيم الدولى : 8 - 1141 - 11 - 977

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة